إلى الباحثين عن

السعادة

جمعه وأعده بحمد الله وتوفيقه

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩م

دار الفرقان للنشر والتوزيع

20 شارع أحمد حسينة - باب الوادي - الجزائر (العاصمة)
00213 (0) 556 96 58 10
dar.alfurquan@gmail.com

إلى الباحثين عن

السعادة

جمعه وأعده بحمد الله وتوفيقه

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَة

الحَمْدُ لله الَّذِي بِيَدِهِ أَزِمَّةُ الأُمُور وَمَقَالِيدُهَا، وَبِإِرَادَتِهِ حُصُولُ الأَسْبَابِ وَالمُسَبِّبَاتِ وَمَفَاتِيحُهَا، وَتَبَارَكَ مَنْ لَمْ يُشَارِكْهُ فِي الخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالتَّدْبِيرِ أَحَدٌ مِنَ العَالَمِين.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَلَا ضِدَّ وَلَا ظَهِير وَلَا مُعِين، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ المُرْسَلِين وَإِمَامُ المُتَّقِين.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّين.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَتَجَدَّدُ اللِّقَاءُ مَعَ البَاحِثِينَ عَنْ السَّعَادَةِ ...

أُرْسِلَ لَهُمْ هَذِهِ الرِّسَالَةَ المُتَوَاضِعَةَ فِي طَبْعَتِهَا الثَّانِيَةِ مَعَ تَصْحِيحِ الأَخْطَاءِ المَطْبَعِيَّةِ وَإِضَافَةِ بَعْضِ الفَوَائِدِ العِلْمِيَّةِ، وَالكَلِمَاتِ الوَعْظِيَّةِ.

كَمَا لَا يَفُوتُنِي أَنْ أَتَقَدَّمَ بِالشُّكْرِ الجَزِيلِ لِكُلِّ مَشَايِخِي وَإِخْوَانِي الَّذِينَ رَاسَلُونِي لِوَفَائِهِمْ بِمُلَاحَظَاتِهِمْ وَتَصْوِيبَاتِهِمْ فَجَزَاهُمْ الله خَيْرًا.

وَأَسْأَلُ الله تَعَالَى «أَنْ يُسْبِغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَة، وَأَنْ يَجْعَلَكُمْ مِمَّنْ إِذَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ شَكَر، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَر، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَر؛ فَإِنَّ هَذِهِ الأُمُور الثَّلَاثَة عُنْوَانُ سَعَادَةِ العَبْدِ وَعَلَامَةِ فَلَاحِهِ فِي دُنْيَاه وَأُخْرَاه، وَلَا يَنْفَكُّ عَبْدٌ عَنْهَا أَبَدًا؛ فَإِنَّ العَبْدَ دَائِمُ التَّقَلُّبِ بَيْنَ هَذِهِ الأَطْبَاقِ الثَّلَاث»[1].

---

[1] «الوَابِلُ الصَّيِّب» (ص١١).

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الأُولَى

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِين، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِين، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله إِلَهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِين، وَقَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَاضِين، وَمَالِكُ يَوْمِ الدِّين، الَّذِي لَا فَوْزَ إِلَّا فِي طَاعَتِه، وَلَا عِزَّ إِلَّا فِي التَّذَلُّلِ لِعَظَمَتِه، وَلَا غِنَى إِلَّا فِي الافْتِقَارِ إِلَى رَحْمَتِه، وَلَا هُدَى إِلَّا فِي الاسْتِهْدَاءِ بِنُورِه، وَلَا حَيَاةَ إِلَّا فِي رِضَاه، وَلَا نَعِيمَ إِلَّا فِي قُرْبِه، وَلَا صَلَاحَ لِلْقَلْبِ وَلَا فَلَاحَ إِلَّا فِي الإِخْلَاصِ لَهُ وَتَوْحِيدِ حُبِّه، الَّذِي إِذَا أُطِيعَ شَكَر، وَإِذَا عُصِيَ تَابَ وَغَفَر، وَإِذَا دُعِيَ أَجَاب، وَإِذَا عُومِلَ أَثَاب، وَالحَمْدُ لله الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ جَمِيعُ مَخْلُوقَاتِه، وَأَقَرَّتْ لَهُ بِالإِلَهِيَّةِ جَمِيعُ مَصْنُوعَاتِه، وَشَهِدَتْ بِأَنَّهُ الله الَّذِي لَا إِلَه إِلَّا هُوَ بِمَا أَوْدَعَهَا مِنْ عَجَائِبِ صَنْعَتِه، وَبَدَائِعِ آيَاتِه، وَسُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِه، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِه، كَمَا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِه، وَلَا شَبِيهَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِه، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَالله أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالحَمْدُ لله كَثِيرًا وَسُبْحَان الله بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَسُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَأَمْلَاكُهَا، وَالنُّجُومُ وَأَفْلَاكُهَا، وَالأَرْضُ وَسُكَّانُهَا: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ].

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الأَرْضُ وَالسَّمَاوَات، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ المَخْلُوقَات، وَبِهَا أَرْسَلَ الله تَعَالَى رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ وَشَرَعَ

شَرَائِعَهُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتْ المَوَازِين، وَوُضِعَتْ الدَّوَاوِين، وَقَامَ سُوقُ الجَنَّةِ وَالنَّار، وَبِهَا انْقَسَمَتْ الخَلِيقَةُ إِلَى مُؤْمِنِينَ وَكُفَّار، وَأَبْرَار وَفُجَّار، فَهِيَ مَنْشَأُ الخَلْقِ وَالأَمْر، وَالثَّوَاب وَالعِقَاب، وَهِيَ الحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الخَلِيقَة، وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالحِسَاب، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالعِقَاب، وَعَلَيْهَا نُصِبَتْ القِبْلَة، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتْ المِلَّة، وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الجِهَاد، وَهِيَ حَقُّ الله عَلَى جَمِيعِ العِبَاد، فَهِيَ كَلِمَةُ الإِسْلَام، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَام، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الأَوَّلُون وَالآخِرُون، فَلَا تَزُولُ قَدَمَا العَبْدِ بَيْنَ يَدَيْ الله حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُون؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمْ المُرْسَلِين؟

فَجَوَابُ الأُوْلَى: بِتَحْقِيقِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا.

وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ: بِتَحْقِيقِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله ﷺ مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا، وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَسَفِيرُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِه، المَبْعُوثُ بِالدِّينِ القَوِيم، وَالمَنْهَجِ المُسْتَقِيم، أَرْسَلَهُ الله رَحْمَةً لِلْعَالَمِين، وَإِمَامًا لِلْمُتَّقِين، وَحُجَّةً عَلَى الخَلَائِقِ أَجْمَعِين، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُل، فَهَدَى بِهِ إِلَى أَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَوْضَحِ السُّبُل، وَافْتَرَضَ عَلَى العِبَادِ طَاعَتَهُ وَتَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ وَمَحَبَّتَهُ، وَالقِيَامَ بِحُقُوقِهِ، وَسَدَّ دُونَ جَنَّتِهِ الطُّرُق، فَلَنْ تُفْتَحَ لِأَحَدٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ، فَشَرَحَ لَهُ صَدْرَه، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَه، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَه، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَار عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَه[١].

---

[١] مُقَدِّمَةُ «زَاد المَعَاد».

أَمَّا بَعْدُ:

السَّعَادَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا السَّعَادَة !

إِنَّهَا دُرَّةٌ مَفْقُودَة...وَغَايَةٌ مَنْشُودَة..

كُلُّ إِنْسَانٍ يَسْعَى لِتَحْصِيلِهَا.. وَكُلُّ وَاحِدٍ يُسَارِعُ لِتَحْقِيقِهَا..

لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ صَغِيرٍ وَكَبِير..عَزِيزٍ وَحَقِير..أَمِيرٍ وَوَزِير..غَنِيٍّ وَفَقِير..

بَلْ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون لِأَجْلِهَا يَتَنَافَسُون، وَعَلَى طَرِيقِهَا يَتَسَابَقُون، وَفِي حَلَبَتِهَا يَتَقَاتَلُون، وَلَكِن فِي تَحْدِيدِ مَفْهُومِهَا وَأَسْبَابِهَا يَخْتَلِفُون..

فَبَعْضُهُمْ جَعَلَهَا فِي المَالِ وَالثَّرَوَات، فَأَخَذَ يُمْضِي يَوْمَهُ فِي التِّجَارَات، وَلَيْلَهُ فِي الحِسَابَات، وَالآخَرُ يَقْضِي السِّنِينَ فِي المَدَارِسِ وَالجَامِعَات، لِيُوَظَّفَ بِأَرْفَعِ المُرَتَّبَات..

وَآخَرُ جَعَلَهَا فِي النِّسَاء.. يَبْحَثُ عَن الحَسْنَاء، وَآخَرُ جَعَلَهَا فِي بِنَاءِ أَفْخَرِ القُصُورِ وَالعَقَّارَات، وَاقْتِنَاءِ آخَرِ وَأَجْمَلِ السَّيَّارَات، وَغَيْرِهَا مِنَ الشَّهَوَات: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ].

وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ أَنَّ هَذِهِ الأُمُور مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ، وَلَكِنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى مَا يُكَمِّلُهَا وَيُتِمُّهَا، لِأَنَّ الوَاقِعَ أَفْضَلُ دَلِيلٍ ـ كَمَا يُقَال ـ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ حَصَّلَ هَذِهِ المَذْكُورَات، وَلَكِنَّهُ فِي المُقَابِلِ عَاشَ حَزِينًا وَمَاتَ كَئِيبًا.

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إِنَّ رَاحَةَ القَلْبِ وَسُرُورَهُ، وَزَوَالَ هُمُومِهِ وَغُمُومِهِ، هُوَ المَطْلَبُ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَبِهِ تَحْصُلُ الحَيَاةُ الطَّيِّبَة، وَيَتِمُّ السُّرُورُ وَالابْتِهَاج، وَلِذَلِكَ أَسْبَابٌ دِينِيَّة، وَأَسْبَابٌ طَبِيعِيَّة، وَأَسْبَابٌ عَمَلِيَّة، وَلَا يُمْكِنُ اجْتِمَاعُهَا كُلُّهَا إِلَّا لِلْمُؤْمِنِين، وَأَمَّا مَنْ سِوَاهُمْ فَإِنَّهَا وَإِنْ حَصَلَتْ لَهُمْ مِنْ وَجْهٍ وَسَبَبٍ يُجَاهِدُ عُقَلَاؤُهُمْ عَلَيْه، فَاتَتْهُمْ مِنْ وُجُوهٍ أَنْفَع وَأَثْبَت وَأَحْسَن حَالًا وَمَآلًا »[١].

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr

[١] «الوَسَائِلُ المُفِيدَة لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَة» (ص ٧).

حَقِيقَةُ السَّعَادَةِ، وأعْظَمُ أسْبَابِهَا:

هَلْ يُفْهَمُ أَنَّ النَّاسَ يَتَخَلَّوْنَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَجَمِيعِ مَلَذَّاتِهِمْ، وَوِجْهَاتِهِمْ، وَرِيَاسَتِهِمْ؟

وَهَلْ يُفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَعِيشَ الوَاحِدُ مِنْهُمْ مُجَانِبًا لِلزِّينَةِ، مَيِّتَ الإِرَادَةِ عَنِ التَّعَلُّقِ بِشَهَوَاتِهِ عَلَى الإِطْلَاقِ؟

وَالجَوَابُ: لَا ؛ فَلَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِك؛ وَلَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ دُنْيَاهُم؛ فَالإِسْلَامُ أَذِنَ فِي اكْتِسَابِ الأَمْوَالِ، وَحَثَّ عَلَى العَمَلِ، وَنَعَى البِطَالَة، لَمْ يَحْرُم النَّاسَ أَنْ يَسْتَمْتِعُوا بِحَيَاتِهِمْ، وَأَنْ يُرَوِّحُوا الخَاطِرَ بِنَعِيمِهَا؛ شَرِيطَة الاقْتِصَاد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ].

وَقَالَ فِي الآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ].

فَلَا يُنَافِي السَّعَادَةَ أَنْ يَسْتَمْتِعَ الإِنْسَانُ بِمَا أَبَاحَ اللهُ لَهُ، وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ السَّعَادَةِ أَنْ يَتَخَلَّى الإِنْسَانُ عَنْ جَمِيعِ شَهَوَاتِهَا.

وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِهَا كَذَلِكَ أَنْ يَتَخَلَّى الإِنْسَانُ عَنْ دِينِه، وَيُطْلِقَ العَنَان لِنَزَوَاتِهِ وَشَهَوَاتِه.

بَلْ إِنَّ شَرْطَ السَّعَادَةِ الأَعْظَم أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ مُسْتَمْسِكًا بِدِينِهِ، عَاضًّا عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ، فَذَلِكَ سِرُّ السَّعَادَةِ، وَيَنْبُوعِهَا الأَعْظَم[١].

وَقَدْ ذَكَرَ العَدِيدُ مِنَ العُلَمَاءِ وَالدُّعَاة الفُضَلَاء، قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَسْبَابَ السَّعَادَة، وَلَكِنْ أَرَدتُّ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الوُرَيْقَات أَنْ أَقْتَصِرَ عَلَى سَبَبٍ وَاحِدٍ، **وَهُوَ تَوْحِيدُ رَبِّ العَالَمِين وَأَثَرُهُ فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَتَحْقِيقِ سَعَادَةِ المُوَحِّدِين**، لِأَنَّهُ أَصْلُ الأُصُول، وَلُبُّ دَعْوَةِ الرُّسُل...

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ].

إِخْوَانِي فِي الله:

« اعْلَمُوا رَحِمَكُمْ الله أَنَّهُ لَا صَلَاحَ لِلْعِبَاد، وَلَا فَلَاحَ وَلَا نَجَاح، وَلَا حَيَاة طَيِّبَة وَلَا سَعَادَة فِي الدَّارَيْن، وَلَا نَجَاةَ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَة، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَوَّلِ مَفْرُوضٍ عَلَيْهِمْ وَالعَمَلِ بِهِ، وَهُوَ الأَمْرُ الَّذِي خَلَقَهُمْ الله عز وجل لَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ المِيثَاقَ بِهِ، وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ إِلَيْهِمْ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ عَلَيْهِمْ، وَلِأَجْلِهِ خُلِقَتْ الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَالجَنَّةَ وَالنَّار، وَبِهِ حَقَّتْ الحَاقَّة وَوَقَعَتْ الوَاقِعَة، وَفِي شَأْنِهِ تُنْصَبُ المَوَازِين وَتَتَطَايَرُ الصُّحُف، وَفِيهِ تَكُونُ الشَّقَاوَةُ وَالسَّعَادَةُ، وَعَلَى حَسَبِ ذَلِكَ تُقْسَمُ الأَنْوَار: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سُورَةُ النُّورِ]»[٢].

[١] «خَوَاطِر» (ص ١٥٤).

[٢] « مَعَارِجُ القَبُول » (١/ ٥٥).

قَالَ العَلَّامَةُ حَافِظ حَكَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بَيَانِ أَهَمِيَّةِ التَّوْحِيد:

وَهْـوَ الَّـذِي بِـهِ الْإِلَـهُ أَرْسَـلَا ... رُسْـلَهُ يَدْعُـونَ إِلَيْـهِ أَوَّلَا
وَأَنْـزَلَ الْكِتَـابَ وَالتِّبْيَانَـا ... مِـنْ أَجْلِـهِ وَفَـرَّقَ الْفُرْقَانَـا
وَكَلَّـفَ اللَّهُ الرَّسُـولَ الْمُجْتَبَـى ... قِتَـالَ مَـنْ عَنْـهُ تَوَلَّـى وَأَبَـى
حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ خَالِصًا لَهُ ... سِـرًّا وَجَهْـرًا دِقُّـهُ وَجُلُّـهُ
وَهَكَـذَا أَمَّتُـهُ قَـدْ كُلِّفُـوا ... بِـذَا وَفِـي نَـصِّ الْكِتَـابِ وُصِفُوا
وَقَـدْ حَوَتْـهُ لَفْظَـةُ الشَّـهَادَةْ ... فَهْيَ سَـبِيلُ الْفَـوْزِ وَالسَّـعَادَةْ [١]

فَفَضَائِلُ التَّوْحِيدِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَلَا تُحَدُّ وَلَا تُسْتَقْصَى، لِمَا لَهُ مِنَ الآثَارِ الطَّيِّبَةِ الكَثِيرَة، وَالفَوَائِدِ العَدِيدَة.

«إِنَّ كُلَّ خَيْرٍ يَنَالُهُ العَبْدُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَكُلَّ شَرٍّ يَنْجُو مِنْهُ العَبْدُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة هُوَ مِنْ ثِمَارِ التَّوْحِيدِ وَأَثَرٌ مِنْ آثَارِه، وَإِذَا دَخَلْنَا فِي شَيْءٍ مِنَ التَّفَاصِيلِ فِي ثِمَارِ التَّوْحِيدِ وَآثَارِه؛ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ ثِمَارِ التَّوْحِيدِ وَآثَارِهِ أَنَّهُ يُصَحِّحُ الأَعْمَالَ وَيُزَكِّيهَا؛ إِذْ الأَعْمَالُ أَيًّا كَانَتْ وَمَهْمَا كَانَتْ لَا تَصِحُّ مِنَ العَامِلِ وَلَا تُقْبَلُ مِنْهُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ، فَهُوَ لِلْأَعْمَالِ كَالأَسَاسِ لِلْبُنْيَانِ وَكَالأُصُولِ لِلْأَشْجَارِ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ] »[٢].

---

[١] « مَعَارِجُ القَبُول » (١/ ٣٢).

[٢] «مِنْ مَعَالِمِ التَّوْحِيد» (ص٤٢).

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الفَرْضُ الأَعْظَم عَلَى جَمِيعِ العَبِيدِ ...وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الأَشْيَاءِ لَهُ مِنَ الآثَارِ الحَسَنَةِ وَالفَضَائِلِ المُتَنَوِّعَةِ مِثْل التَّوْحِيد فَإِنَّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَة مِنْ ثَمْرَاتِ هَذَا التَّوْحِيد وَفَضَائِلِهِ.....

وَمِنْ فَضَائِلِهِ أَنَّهُ السَّبَب الأَعْظَمُ لِتَفْرِيجِ كُرُبَاتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَدَفْعِ عُقُوبَاتِهِمَا.

وَمِنْ أَجَلِّ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يَمْنَعُ الخُلُودَ فِي النَّارِ إِذَا كَانَ فِي القَلْبِ مِنْهُ أَدْنَى مِثْقَال حَبَّةِ خَرْدَل، وَأَنَّهُ إِذَا كَمَلَ فِي القَلْبِ يَمْنَعُ دُخُولَ النَّارِ بِالكُلِّيَّة.

وَمِنْهَا أَنَّهُ يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ الهُدَى الكَامِل وَالأَمْنُ التَّامُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَمِنْهَا أَنَّهُ السَّبَبُ الوَحِيدُ لِنَيْلِ رِضَا الله وَثَوَابِهِ، وَأَنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ .

وَمِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلِهِ أَنَّ جَمِيعَ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ مُتَوَقِّفَةٌ فِي قَبُولِهَا، وَفِي كَمَالِهَا، وَفِي تَرَتُّبِ الثَّوَابِ عَلَيْهَا عَلَى التَّوْحِيد، فَكُلَّمَا قَوِيَ التَّوْحِيدُ وَالإِخْلَاصُ لله كَمُلَتْ هَذِهِ الأُمُورُ وَتَمَّتْ.

وَمِنْ فَضَائِلِهِ أَنَّهُ يُسَهِّلُ عَلَى العَبْدِ فِعْلَ الخَيْرِ وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَيُسَلِّيهِ عَنْ المُصِيبَات، فَالمُخْلِصُ لله فِي إِيمَانِهِ وَتَوْحِيدِهِ تَخِفُّ عَلَيْهِ الطَّاعَات، لِمَا يَرْجُو مِنْ ثَوَابِ رَبِّهِ وَرِضْوَانِهِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِ تَرْكُ مَا تَهْوَاهُ النَّفْسُ مِنَ المَعَاصِي، لِمَا يَخْشَى مِنْ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ.

وَمِنْهَا أَنَّ التَّوْحِيدَ إِذَا كَمُلَ فِي القَلْبِ حَبَّبَ الله لِصَاحِبِهِ الإِيمَان، وَزَيَّنَهُ فِي قَلْبِهِ وَكَرَّهَ إِلَيْهِ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَان، وَجَعَلَهُ مِنَ الرَّاشِدِين.

وَمِنْهَا أَنَّهُ يُخَفِّفُ عَلَى العَبْدِ المَكَارِهَ وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِ الآلَامَ، فَبِحَسَبِ تَكْمِيلِ العَبْدِ لِلتَّوْحِيدِ وَالإِيمَانِ يَتَلَقَّى المَكَارِهَ وَالآلَامَ بِقَلْبٍ مُنْشَرِحٍ، وَنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ، وَتَسْلِيمٍ وَرِضًى بِأَقْدَارِ اللهِ المُؤْلِمَةِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلِهِ أَنَّهُ يُحَرِّرُ العَبْدَ مِنْ رِقِّ المَخْلُوقِينَ وَالتَّعَلُّقِ بِهِمْ، وَخَوْفِهِمْ وَرَجَائِهِمْ، وَالعَمَلِ لِأَجْلِهِمْ، وَهَذَا هُوَ العِزُّ الحَقِيقِيُّ، وَالشَّرَفُ العَالِي، وَيَكُونُ مَعَ ذَلِكَ مُتَأَلِّهًا مُتَعَبِّدًا للهِ لَا يَرْجُو سِوَاه وَلَا يَخْشَى إِلَّا إِيَّاه، وَلَا يُنِيبُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَبِذَلِكَ يَتِمُّ فَلَاحُهُ وَيَتَحَقَّقُ نَجَاحُهُ....

وَمِنْهَا أَنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ المُوَحِّدِينَ أَهْلِ الإِيمَانِ شُرُورَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَيَمُنُّ عَلَيْهِمْ بِالحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ بِذِكْرِهِ، وَشَوَاهِدُ هَذِهِ الجُمَلِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ، واللهُ أعلم»[١].

فَالتَّوْحِيدُ مِفْتَاحُ الجِنَانِ، وَصَمَّامُ الأَمَانِ، وَمُمَزِّقُ حَبَائِلِ الأَحْزَانِ...

وَقَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

«**فَأَعْظَمُ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ**: التَّوْحِيدُ وَعَلَى حَسَبِ كَمَالِهِ، وَقُوَّتِهِ، وَزِيَادَتِهِ يَكُونُ انْشِرَاحُ صَدْرِ صَاحِبِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ [الزُّمَر].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ

[١] «القَوْلُ السَّدِيد فِي مَقَاصِدِ التَّوْحِيد» (ص ١٦).

عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ].

فَالهُدَى وَالتَّوْحِيدُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ، وَالشِّرْكُ وَالضَّلَالُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ضَيْقِ الصَّدرِ وَانْحِرَاجِه، وَمِنْهَا: النُّورُ الَّذِي يَقْذِفُه الله فِي قَلْبِ العَبْدِ، وَهُوَ نُورُ الإِيمَان، فَإِنَّهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ وَيُوسِّعُهُ، وُيُفْرِحُ القلبَ، فَإِذَا فُقِدَ هَذَا النُّورُ مِنْ قَلْبِ العَبْدِ، ضَاقَ وَحَرِجَ، وَصَارَ فِي أَضْيَقِ سِجْنٍ وَأَصْعَبِهِ »[١].

وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ:

«وَالإِخْلَاصُ وَالتَّوْحِيدُ شَجَرَةٌ فِي القَلْبِ، فُرُوعُهَا الأَعْمَالُ، وَثَمَرُهَا طَيِّبُ الحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا، وَالنَّعِيمُ المُقِيمُ فِي الآخِرَةِ، وَكَمَا أَنَّ ثِمَارَ الجَنَّةِ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَة، فَثَمَرَةُ التَّوْحِيدِ وَالإِخْلَاصِ فِي الدُّنْيَا كَذَلِك، وَالشِّرْكُ وَالكَذِبُ وَالرِّيَاءُ شَجَرَةٌ فِي القَلْبِ ثَمَرُهَا فِي الدُّنْيَا: الخَوْفُ وَالهَمُّ وَالغَمُّ وَضِيقُ الصَدْرِ، وَظُلْمَةُ القَلْبِ وَثَمَرُهَا فِي الآخِرَةِ الزَّقُّومُ وَالعَذَابُ المُقِيم..»[٢].

وَلَكِنْ قَدْ يَتَسَاءَلُ أَحَدُنَا وَيَقُول: أَنَا مِنَ المُوَحِّدِين وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِين، وَلَمْ أَجِدْ هَذِهِ السَّعَادَةَ الَّتِي عَنْهَا تَتَكَلَّمُون، وَحَوْلَهَا تُدَنْدِنُون!

فَنَقُولُ: أَنَّ الخَلَلَ فِيك، وَهَذَا الجَوَابُ يَكْفِيك.

لِأَنَّهُ قَدْ وَرَدَتْ العَدِيدُ مِنَ النُّصُوصِ الذَّاكِرَةِ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ مُقَيَّدَةً إِمَّا بِالعِلْمِ، وَإِمَّا بِعَدَمِ الشَكِّ، وَإِمَّا بِاليَقِين.... وَهِيَ مَا تُعْرَفُ بِشُرُوطِ كَلِمَةِ التَّوْحِيد:

جَمَعَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ هَذِهِ الشُّرُوط السَّبْعَة فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَقَالَ:

---

[١] «زَادُ المَعَاد» (٢/ ٢٤).

[٢] «الفَوَائِد» (ص ١٦٤).

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقُك معْ محبّـةٍ وانقيـادٍ والقَبـولُ لهـا

وَلْنَقِفْ وَقْفَةً مُخْتَصَرَةً مَعَ هَذِهِ الشُّرُوط لِبَيَانِ المُرَادِ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا، مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ أَدِلَّتِهَا مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

❐ **أَمَّا الشَّرْطُ الأَوَّلُ:** وَهُوَ **العِلْمُ** بِمَعْنَاهَا المُرَادُ مِنْهَا نَفْيًا وَإِثْبَاتًا المُنَافِي لِلْجَهْلِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَعْلَمَ مَنْ قَالَهَا أَنَّهَا تَنْفِي جَمِيعَ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ عَنْ كُلِّ مَنْ سِوَى الله، وَتُثْبِتُ ذَلِكَ لله وَحْدَهُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سُورَةُ الفَاتِحَةِ].

أَيْ نَعْبُدُكَ وَلَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ، وَنَسْتَعِينُ بِكَ وَلَا نَسْتَعِينُ بِسِوَاكَ.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ [سُورَةُ الزُّخْرُفِ]، قَالَ المُفَسِّرُون: إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِـ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: مَعْنَى مَا شَهِدُوا بِهِ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ.

وَثَبَتَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ عُثْمَان بْنِ عَفَّان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الجَنَّة** »[١]، فَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام العِلْمَ.

❐ **أَمَّا الشَّرْطُ الثَّانِي:** فَهُوَ **اليَقِينُ** المُنَافِي لِلشَكِّ وَالرَّيْبِ، أَيْ: أَنْ يَكُونَ قَائِلَهَا مُوقِنًا بِهَا يَقِينًا جَازِمًا لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا رَيْب، وَاليَقِينُ هُوَ تَمَامُ العِلْمِ وَكَمَالُهُ، قَالَ الله تَعَالَى فِي وَصْفِ المُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ

---

[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦).

يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ]، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أَيْ: أَيْقَنُوا وَلَمْ يَشُكُّوا.

وَثَبَتَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِم» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دخَلَ الجَنَّة**»[١].

وَثَبَتَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِم» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضاً قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **مَنْ لَقِيْتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ الله مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ** »[٢]، فَاشْتَرَطَ اليَقِينَ.

❐ **وَالشَّرْطُ الثَّالِثُ:** هُوَ **الإِخْلَاصُ** المُنَافِي لِلشِّرْكِ وَالرِّيَاءِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِتَصْفِيَةِ العَمَلِ وَتَنْقِيَتِهِ مِنْ جَمِيعِ الشَّوَائِبِ الظَّاهِرَةِ وَالخَفِيَّةِ، وَذَلِكَ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي جَمِيعِ العِبَادَاتِ لله وَحْدَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سُورَةُ البَيِّنَةِ: ٥]، وَفِي «الصَّحِيح» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: « **أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله خَالِصاً مِنْ قَلْبِه**»[٣]، فَاشْتَرَطَ الإِخْلَاص.

❐ **وَالشَّرْطُ الرَّابِعُ :** هُوَ **الصِّدْقُ** المُنَافِي لِلْكَذِبِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقُولَ العَبْدُ هَذِهِ الكَلِمَةَ صَادِقاً مِنْ قَلْبِهِ، وَالصِّدْقُ هُوَ أَنْ يَوَاطِئَ القَلْبُ اللِّسَانَ، وَلِذَا قَالَ الله تَعَالَى

---

[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧).

[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣١).

[٣] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٩٩).

فِي ذَمِّ المُنَافِقِين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [سُورَةُ المُنَافِقُونَ]، فَوَصَفَهُمْ سُبْحَانَهُ بِالكَذِبِ؛ لِأَنَّ مَا قَالُوهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَمْ يَكُنْ مَوْجُوداً فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ].

وَثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْن» عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَادِقاً مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**»[١]، فَاشْتَرَطَ الصِّدْقَ.

❐ **الشَّرْطُ الخَامِسُ: المَحَبَّةُ** المُنَافِيَةُ لِلْبُغْضِ وَالكُرْهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ

يُحِبَّ قَائِلُهَا اللهَ وَرَسُولَهُ وَدِينَ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ القَائِمِينَ بِأَوَامِرِ اللهِ الوَاقِفِينَ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَأَنْ يُبْغِضَ مَنْ خَالَفَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَتَى بِمَا يُنَاقِضُهَا مِنْ شِرْكٍ وَكُفْرٍ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى اشْتِرَاطِ المَحَبَّةِ فِي الإِيمَانِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٦٥].

وَفِي الحَدِيثِ: «أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي اللهِ»[٢].

❐ **وَالشَّرْطُ السَّادِسُ: القَبُولُ** المُنَافِي لِلرَّدِّ، فَلَابُدَّ مِنْ قَبُولِ هَذِهِ الكَلِمَةِ قَبُولاً حَقًّا بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَقَدْ قَصَّ اللهُ عَلَيْنَا فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ أَنْبَاءَ مَنْ سَبَقَ مِمَّنْ أَنْجَاهُمْ لِقَبُولِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَانْتِقَامِهِ وَإِهْلَاكِهِ لِمَنْ رَدَّهَا وَلَمْ يَقْبَلْهَا، قَالَ تَعَالَى:

---

[١] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٢٨)، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٢).

[٢] رَوَاهُ أَحْمَد (٤/ ٢٨٦)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة» (١٧٢٨).

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [سُورَةُ يُونُسَ].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي شَأْنِ المُشْرِكِين: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦﴾ [سُورَةُ الصَّافَّاتِ].

□ **الشَّرْطُ السَّابِعُ: الانْقِيَادُ** المُنَافِي لِلتَّرْكِ؛ إِذْ لَابُدَّ لِقَائِلَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله أَنْ يَنْقَادَ لِشَرْعِ الله، وَيُذْعِنَ لِحُكْمِهِ وَيُسْلِمَ وَجْهَهُ إِلَى الله إِذْ بِذَلِكَ يَكُونُ مُتَمَسِّكًا بِـ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَلِذَا يَقُولُ تَعَالَى: ﴿۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢﴾ [سُورَةُ لُقۡمَانَ]، أَيْ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِـ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَاشْتَرَطَ سُبْحَانَهُ الانْقِيَادَ لِشَرْعِ الله، وَذَلِكَ بِإِسْلَامِ الوَجْهِ لَهُ سُبْحَانَهُ.

فَهَذِهِ هِيَ شُرُوطُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَلَيْسَ المُرَادُ مِنْهَا عَدَّ أَلْفَاظِهَا وَحِفْظَهَا فَقَطْ، فَكَمْ مِنْ عَامِيٍّ اجْتَمَعَتْ فِيهِ وَالْتَزَمَهَا وَلَوْ قِيلَ لَهُ: اعْدُدْهَا لَمْ يُحْسِنْ ذَلِكَ، وَكَمْ مِنْ حَافِظٍ لِأَلْفَاظِهَا يَجْرِي فِيهَا كَالسَّهْمِ، وَتَرَاهُ يَقَعُ كَثِيراً فِيمَا يُنَاقِضُهَا، فَالمَطْلُوبُ إِذاً العِلْم وَالعَمَل مَعاً لِيَكُونَ المَرْءُ بِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله صِدْقاً، وَمِنْ أَهْلِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ حَقًّا، وَالمُوَفَّقُ لِذَلِكَ وَالمُعِينُ هُوَ الله وَحْدَهُ، فَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِتَحْقِيقِ ذَلِك، وَالحَمْدُ لله وَحْدَه»[١].

فَكَلِمَةُ التَّوْحِيدِ لَيْسَتْ كَلِمَةً تُقَالُ فَحَسْب بَلْ بِتَحْقِيقِ شُرُوطِهَا وَاجْتِنَابِ نَوَاقِضِهَا، قَالَ الإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيّ رَحِمَهُ اللهُ: «... قَوْلُ العَبْدِ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله يَقْتَضِي أَنْ لَا إِلَهَ لَهُ غَيْر الله، وَالإِلَهُ هُوَ الَّذِي يُطَاعُ فَلَا يُعْصَى هَيْبَةً لَهُ وَإِجْلَالًا، وَمَحَبَّةً

[١] «فِقْهُ الأَدْعِيَة وَالأَذْكَار» (١/ ١٦٢-١٦٥).

وَخَوْفًا وَرَجَاءً، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ، وَسُؤَالًا مِنْهُ، وَدُعَاءً لَهُ، وَلَا يَصْلُحُ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَّا لله عز وجل فَمَنْ أَشْرَكَ مَخْلُوقًا فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِ الإِلَهِيَّةِ كَانَ ذَلِكَ قَدْحًا فِي إِخْلَاصِهِ فِي قَوْلِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَنَقْصًا فِي تَوْحِيدِهِ، وَكَانَ فِيهِ مِنْ عُبُودِيَّةِ المَخْلُوقِ بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ فُرُوعِ الشِّرْكِ، وَلِهَذَا وَرَدَ إِطْلَاقُ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ المَعَاصِي الَّتِي مَنْشَؤُهَا مِنْ طَاعَةِ غَيْرِ الله أَوْ خَوْفِهِ أَوْ رَجَائِهِ، أَوْ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالعَمَلِ لِأَجْلِهِ، كَمَا وَرَدَ إِطْلَاقُ الشِّرْكِ عَلَى الرِّيَاءِ، وَعَلَى الحَلِفِ بِغَيْرِ الله، وَعَلَى التَّوَكُّلِ عَلَى غَيْرِ الله، وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهِ، وَعَلَى مَنْ سَوَّى بَيْنَ الله وَبَيْنَ المَخْلُوقِ فِي المَشِيئَةِ، مِثْل أَنْ يَقُولَ: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ فُلَان، وَكَذَا قَوْله: مَالِي إِلَّا الله وَأَنْت، وَكَذَلِكَ مَا يَقْدَحُ فِي التَّوْحِيدِ وَتَفَرُّدِ الله بِالنَّفْعِ وَالضُّرِّ كَالطِّيَرَةِ، وَالرُّقَى المَكْرُوهَةِ وَإِتْيَانِ الكُهَّان، وَتَصْدِيقِهِمْ بِمَا يَقُولُون، وَكَذَلِكَ اتِّبَاعُ هَوَى النَّفْسِ فِيمَا نَهَى الله عَنْهُ، قَادِحٌ فِي تَمَامِ التَّوْحِيدِ وَكَمَالِهِ.

وَلِهَذَا أَطْلَقَ الشَّرْعُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي مَنْشَؤُهَا مِنْ هَوَى النَّفْسِ أَنَّهَا كُفْرٌ وَشِرْكٌ: كَقِتَالِ المُسْلِمِ، وَمَنْ أَتَى حَائِضًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، وَمَنْ شَرِبَ الخَمْرَةَ فِي المَرَّةِ الرَّابِعَةِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَا يُخْرِجُهُ عَن المِلَّةِ وَلِهَذَا قَالَ السَّلَفُ: كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَشِرْكٌ دُونَ شِرْكٍ »[١].

وَكَمَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَخِي القَارِئ أَنَّ التَّوْحِيدَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ، فَانْشِرَاحُ الصَّدْرِ وَتَحْقِيقُ السَّعَادَةِ، يَكُونُ بِأَقْسَامِهِ الثَّلَاثَةِ كَذَلِكَ، وَبَيَانُهُ كَالآتِي:

---

[١] «كَلِمَةُ الإِخْلَاص وَتَحْقِيقُ مَعْنَاهَا » (ص٢٣).

أ/ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ:

«هُوَ إِفْرَادُ الله عز وجل بِالخَلْقِ، وَالمُلْكِ، وَالتَّدْبِير، فَإِفْرَادُهُ بِالخَلْقِ: أَنْ يَعْتَقِدَ الإِنْسَانُ أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا الله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ: ٥٤] فَهَذِهِ الجُمْلَةُ تُفِيدُ الحَصْرَ لِتَقْدِيمِ الخَبَر، إِذْ إِنَّ تَقْدِيمَ مَا حَقّه التَّأْخِير يُفِيدُ الحَصْرَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سُورَةُ فَاطِر: ٣]، فَهَذِهِ الآيَةُ تُفِيدُ اخْتِصَاصَ الخَلْقِ بِالله لِأَنَّ الاسْتِفْهَامَ فِيهَا مُشَرَبٌ مَعْنَى التَّحَدِّي..»[١].

إِنَّ إِقْرَارَ العَبْدِ بِأَنَّ الله وَحْدَهُ هُوَ الخَالِق لِهَذَا العَالَم بِأَسْرِه، وَاعْتِرَافه بِأَنَّ الله عز وجل هُوَ وَحْدَهُ المُدَبِّر يُضْفِي عَلَى القَلْبِ حَيَاةً طَيِّبَةً هَنِيئَةً، فَيَزْدَادُ تَعَلُّقُ قَلْبِ العَبْدِ بِرَبِّهِ تَعَالَى.

كَيْفَ لَا؟! وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ رِزْقَهُ لَيْسَ بِيَدِ فُلَان وَلَا عِلَّان وَإِنَّمَا مِنْ عِنْدِ خَالِقِ الإِنْسِ وَالجَان، القَائِل فِي كِتَابِهِ القُرْآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [سُورَةُ الذَّارِيَات].

يَتَنَعَّمُ بِنِعَمِ رَبِّهِ وَمَوْلَاه، وَهُوَ عَلَى يَقِين: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [سُورَةُ النَّحْل: ٥٥].

---

[١] «القَوْلُ المُفِيد عَلَى كِتَابِ التَّوْحِيد» (١/ ١٢).

وَلْنَتَأَمَّلْ بِقُلُوبِنَا، وَنَتَدَبَّر بِأَفْئِدَتِنَا بَعْضَ المَعَانِي العَظِيمَة مِنْ هَذَا الحَدِيثِ القُدُسِيِّ ..اقْرَأْهُ وَكَأَنَّكَ تَقْرَؤُهُ لِأَوَّلِ مَرَّة:

عَنْ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ فيما يَروي عَنْ ربِّه عز وجل أنَّه قالَ: «**يا عِبادي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلمَ على نَفسي، وجَعَلْتُهُ بَينَكُم مُحَرَّماً فلا تَظالموا، يا عِبادي كُلُّكُم ضَالٌّ إلاَّ مَنْ هَديتُهُ فاستهدُوني أهدِكُم، يا عبادي كُلُّكُم جَائِعٌ إلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فاستطعموني أُطعِمْكُم، يا عِبادي كُلُّكُم عَارٍ إلاَّ مَنْ كَسوتُهُ، فاستَكْسوني أكسكُمْ، يا عِبادي إنَّكُم تُخْطِئونَ باللَّيلِ والنَّهار، وأنَا أَغْفِرُ الذُّنوبَ جَميعاً، فاستَغفِروني أغفر لكُمْ.**

يا عِبادي إنَّكم لَنْ تَبلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّوني، ولن تَبلُغُوا نَفْعِي فَتَنفَعونِي.

يا عِبادي لو أنَّ أوَّلَكُم وآخِركُم وإنْسَكُمْ وجِنَّكُم كانُوا على أتْقى قَلب رَجُلٍ واحدٍ منكُم، ما زَادَ ذلك في مُلكِي شَيئاً، يا عِبادي لو أنَّ أَوَّلَكُم وآخِرَكُم وإنْسَكُمْ وجِنَّكُم كانُوا على أفْجَر قَلبِ رَجُلٍ واحِدٍ منكُم، ما نَقَصَ ذلك من مُلكِي شيئاً، يا عِبادي لَوْ أنَّ أَوَّلَكُم وآخِرَكُم وإنْسَكُمْ وجنَّكم قاموا في صَعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيت كل إنسانٍ مسألته، ما نَقَصَ ذلك مِمَّا عِندي إلاَّ كَما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البَحرَ.

يا عبادي إنَّما هِيَ أَعمالُكُم أُحْصِيها لَكُمْ، ثمَّ أُوفِّيكُم إيَّاها، فَمَنْ وجَدَ خَيراً، فليَحْمَدِ الله، ومَنْ وَجَد غيرَ ذلكَ، فَلا يَلومَنَّ إلاَّ نَفسَه»[١].

فَمَنْ الَّذِي يُرَبِّيكَ وَيَهْدِيك؟!

وَمَنْ الَّذِي يُطْعِمُكَ وَيَسْقِيك؟!

وَمَنْ الَّذِي يُسْكِنُكَ وَيُؤْوِيك؟!

[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٧٧).

وَمَنْ الَّذِي يُلْبِسُكَ وَيُعْطِيك؟!

وَمَنْ الَّذِي يُقَرِّبُكَ وَيُدْنِيك؟!

إِنَّهُ الله جل جلاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ].

قِيلَ لِأَحَدِ السَّلَفِ: مَا سِرُّ زُهْدِك فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؟

فَقَالَ: «أَرْبَع:

١/ عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لَا يَأْخُذُهُ أَحَدٌ غَيْرِي فَاطْمَأَنَّ قَلْبِي.

٢/ وَعَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِي لَا يَقُومُ بِهِ أَحَدٌ سِوَايَ فَانْشَغَلْتُ بِهِ.

٣/ وَعَلِمْتُ أَنَّ المَوْتَ لَا شَكَّ قَادِمٌ فَاسْتَعَدَدتُّ لَهُ.

٤/ وَعَلِمْتُ أَنِّي لَا مَحَالَة وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي فَأَعْدَدتُّ لِلسُّؤَالِ جَوَابًا»[١].

وَقَالَ آخَر: «ثَلَاثُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ الله اسْتَغْنَيْتُ بِهِنَّ عَلَى مَا أَنَا فِيهِ: قَرَأْتُ قَوْلَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ].

فَعَلِمْتُ وَأَيْقَنْتُ أَنَّ الله إِذَا أَرَادَ بِي ضُرًّا لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَنْ يَدْفَعَهُ عَنِّي، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُعْطِيَنِي شَيْئًا لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنِّي.

---

[١] وَانْظُرْ: «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١١/ ٤٨٥).

وَقَرَأْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَة]، فَاشْتَغَلْتُ بِذِكْرِهِ جَلَّ وَعَلا عَمَّا سِوَاه.

وَقَرَأْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [سُورَةُ هُودٍ].

فَعَلِمْتُ وَأَيْقَنْتُ وَازْدَدْتُ ثِقَةً بِأَنَّ رِزْقِي مِنْ عِنْدِ الله لَنْ يَأْخُذَهُ أَحَدٌ غَيْرِي».

قَالَ الشَّاعِر:

وَكَيْفَ أَخَافُ الفَقْرَ وَاللهُ رَازِقِي ... وَرَازِقُ هَذَا الخَلْقِ فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ

تَكَفَّلَ بِالأَرْزَاقِ لِلْخَلْقِ كُلِّهِم ... وَلِلضَّبِّ فِي البَيْدَاءِ وَالحُوتِ فِي البَحْرِ

يَرَى المُوَحِّدُ عَظَمَةَ رَبِّهِ مِنْ خِلَالِ بَعْضِ آيَاتِهِ الكَوْنِيَّة، مِنْ جِبَالٍ وَبِحَار، وَسَمَاءٍ وَأَشْجَار، وَكَيْفَ يُكَوِّرُ سُبْحَانَهُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَيُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَار...

لِذَا حَثَّ الله ﷻ عِبَادَهُ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَة].

انْظُرْ لِتِلْكَ الشَّجَرَهْ ... ذَاتِ الْغُصُونِ النَّضِرَهْ

كَيْفَ نَمَتْ مِنْ حَبَّةٍ ... وَكَيْفَ صَارَتْ شَجَرَهْ

ابْحَثْ وَقُلْ مَنْ ذَا الَّذِي ... يُخْرِجُ مِنْهَا الثَّمَرَهْ؟!

ذَاكَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي ... أَنْعُمُهُ مُنْهَمِرَهْ

ذُو حِكْمَـــةٍ بَالِـــــــــغَةٍ وَقُــدْرَةٍ مُقْـــــــــــتَدِرَهْ
وَانْظُـرْ إِلَـى الشَّـمْسِ الَّتِـي جَذْوَتُهَــــــــا مُسْــتَعِرَهْ
فِيهَـــا ضِيَـــاءٌ وَبِهَـــــــا حَــرَارَةٌ مُنْـــــــتَشِرَهْ
ابْحَـثْ وَقُـلْ مَـنْ ذَا الَّـذِي يُخْـــرِجُ مِنْهَـــا الشَّـــرَرَهْ؟!
ذَاكَ هُــوَ اللَّهُ الَّــذِي أَنْعُمُــهُ مُنْــــــــهَمِرَهْ

وَيَقُولُ الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ][١].

وَقَدْ فَسَّرَ هَذِهِ الآيَةَ الإِمَامَانِ ابْنُ كَثِير وَ ابْنُ سعْدِي رَحِمَهُمَا الله بِكَلَامٍ جَمِيلٍ يَحْسُنُ ذِكْره.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

[١] عَنْ عطَاءٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا، فقَالَ: أَقُولُ يَا أُمَّهْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا، قَالَ: فَقَالَتْ: دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ، قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الْآيَةَ كُلَّهَا» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّان فِي صَحِيحِه (٦٢٠)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيب» (٥٢٨٣).

«وَمَعْنَى الآيَة أَنَّهُ يَقُولُ تَعَالَى:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: هَذِهِ فِي ارْتِفَاعِهَا وَاتِّسَاعِهَا، وَهَذِهِ فِي انْخِفَاضِهَا وَكَثَافَتِهَا وَاتِّضَاعِهَا وَمَا فِيهِمَا مِنَ الآيَاتِ المُشَاهَدَةِ العَظِيمَة مِنْ كَوَاكِبَ سَيَّارَات، وَثَوَابِتَ وَبِحَار، وَجِبَال وَقِفَار وَأَشْجَار وَنَبَات وَزُرُوع وَثِمَار، وَحَيَوَان وَمَعَادِن وَمَنَافِع، مُخْتَلِفَة الأَلْوَان وَالطُّعُوم وَالرَّوَائِح وَالخَوَاص ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أَيْ: تَعَاقُبهُمَا وتقَارضهما الطُّول وَالقِصَر، فَتَارَةً يَطُول هَذَا وَيَقْصُر هَذَا، ثُمَّ يَعْتَدِلَان، ثُمَّ يَأْخُذُ هَذَا مِنْ هَذَا فَيَطُولُ الَّذِي كَانَ قَصِيرًا، وَيَقْصُرُ الَّذِي كَانَ طَوِيلًا وَكُلُّ ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ الحَكِيم ؛ وَلِهَذَا قَالَ:﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أَيْ: العُقُول التَّامَّة الذَكِيَّة الَّتِي تُدْرِكُ الأَشْيَاء بِحَقَائِقِهَا عَلَى جَلِيَّاتِهَا، وَلَيْسُوا كَالصُّمِّ البُكْم الَّذِين لَا يَعْقِلُون»[١].

وَقَالَ العلَّامة السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«يُخْبِرُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ]، وَفِي ضِمْنِ ذَلِكَ حَثَّ العِبَادَ عَلَى التَّفَكُّرِ فِيهَا، وَالتَّبَصُّرِ بِآيَاتِهَا، وَتَدَبُّرِ خَلْقِهَا، وَأَبْهَمَ قَوْلَهُ: ﴿آيات﴾ وَلَمْ يَقُلْ: (عَلَى المَطْلَبِ الفُلَانِي) إِشَارَةً لِكَثْرَتِهَا وَعُمُومِهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِيهَا مِنَ الآيَاتِ العَجِيبَة مَا يُبْهِرُ النَّاظِرِين، وَيُقْنِعُ المُتَفَكِّرِين، وَيَجْذِبُ أَفْئِدَةَ الصَّادِقِين، وَيُنَبِّهُ العُقُولَ النَّيِّرَة عَلَى جَمِيعِ المَطَالِبِ الإِلَهِيَّة، فَأَمَّا تَفْصِيلُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ، فَلَا يُمْكِنُ لِمَخْلُوقٍ أَنْ يَحْصُرَهُ، وَيُحِيطَ بِبَعْضِهِ، وَفِي الجُمْلَةِ فَمَا فِيهَا مِنَ العَظَمَةِ وَالسَّعَةِ، وَانْتِظَامِ السَّيْرِ وَالحَرَكَةِ، يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ خَالِقِهَا، وَعَظَمَةِ سُلْطَانِهِ وَشُمُولِ قُدْرَتِهِ، وَمَا فِيهَا مِنَ

[١] «تَفْسِيرُ القُرْآنِ العَظِيمِ» (١/ ٥٧٠).

الإِحْكَامِ وَالإِتْقَانِ، وَبَدِيعِ الصُّنْعِ، وَلَطَائِفِ الفِعْلِ، يَدُلُّ عَلَى حِكْمَةِ الله وَوَضْعِهِ الأَشْيَاء مَوَاضِعها، وَسِعَة عِلْمِه، وَمَا فِيهَا مِنَ المَنَافِعِ لِلْخَلْقِ، يَدُلُّ عَلَى سِعَةِ رَحْمَةِ الله، وَعُمُومِ فَضْلِهِ، وَشُمُولِ بِرِّهِ، وَوُجُوبِ شُكْرِهِ.

وَكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى تَعَلُّقِ القَلْبِ بِخَالِقِهَا وَمُبْدِعِهَا، وَبَذْلِ الجُهْدِ فِي مَرْضَاتِهِ، وَأَنْ لَا يُشْرِكَ بِهِ سِوَاه، مِمَّنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ مِثْقَال ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاء.

وَخَصَّ الله بِالآيَاتِ أُولِي الأَلْبَاب، وَهُمْ أَهْلُ العُقُولِ؛ لِأَنَّهُمْ هُمْ المُنْتَفِعُونَ بِهَا، النَّاظِرُونَ إِلَيْهَا بِعُقُولِهِمْ لَا بِأَبْصَارِهِمْ»[١].

الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ ... وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ فَيْضٌ مِنْ عَطَايَاهُ

الطَّيْرُ سَبَّحَهُ وَالْوَحْشُ مَجَّدَهُ ... وَالْمَوْجُ كَبَّرَهُ وَالْحُوتُ نَاجَاهُ

وَالنَّمْلُ تَحْتَ الصُّخُورِ الصُّمِّ قَدَّسَهُ ... وَالنَّحْلُ يَهْتِفُ حَمْدًا فِي خَلَايَاهُ

وَالنَّاسُ يَعْصُونَهُ جَهْرًا فَيَسْتُرُهُمْ ... وَالْعَبْدُ يَنْسَى وَرَبِّي لَيْسَ يَنْسَاهُ

«فَيَدَاهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ سَحَّاء اللَّيْلِ وَالنَّهَار، وَخَيْرُهُ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ مِدْرَارًا: يُفَرِّجُ كَرْبًا، وَيُزِيلُ غَمًّا ، وَيُغْنِي فَقِيرًا وَيَفُكُّ أَسِيرًا، وَيَجْبُرُ كَسِيرًا، وَيُجِيبُ سَائِلًا، وَيُعْطِي فَقِيرًا عَائِلًا، وَيُجِيبُ المُضْطَرِّينَ وَيَسْتَجِيبُ لِلسَّائِلِينَ، وَيُنْعِمُ عَلَى مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَيُعَافِي مَنْ طَلَبَ العَافِيَة وَلَا يَحْرِمُ مِنْ خَيْرِهِ عَاصِيًا، بَلْ خَيْرُهُ يَرْتَعُ فِيهِ البَرُّ الفَاجِر، وَيَجُودُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ بِالتَّوْفِيقِ لِصَالِحِ الأَعْمَال ثُمَّ يَحْمَدُهُمْ عَلَيْهَا ، وَيُضِيفُهَا إِلَيْهِمْ وَهِيَ مِنْ جُودِهِ وَيُثِيبُهُمْ عَلَيْهَا مِنَ الثَّوَابِ العَاجِل وَالآجِل مَا لَا يُدْرِكُهُ الوَصْف وَلَا

[١] «تَيْسِيرُ الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص١٦١).

يَخْطُرُ عَلَى العَبْد، وَيَلْطُفُ بِهِمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، وَيُوصِلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الإِحْسَانِ، يَدْفَعُ عَنْهُمْ مِنَ النِّقَم مَا لَا يَشْعُرُونَ بِكَثِيرٍ مِنْهُ، فَسُبْحَانَ مَنْ كُلُّ النِّعَمِ الَّتِي بِالعِبَادِ فَمِنْه، وَإِلَيْهِ يَجْأَرُونَ فِي دَفْعِ المَكَارِه، وَتَبَارَكَ مَنْ لَا يُحْصِي أَحَدٌ ثَنَاءً عَلَيْه ، بَلْ هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِه وَتَعَالَى مَنْ لَا يَخْلُو العِبَادُ مِنْ كَرَمِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، بَلْ وَلَا وُجُودَ لَهُمْ وَلَا بَقَاءَ إِلَّا بِجُودِه»[١].

يَعْلَمُ المُوَحِّدُ أَنَّ الله ﷻ هُوَ وَحْدَهُ المُدَبِّرُ فِي هَذَا الكَوْن فَيَرْضَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِه، حُلْوِه وَمُرِّه، فَهُوَ بَيْنَ شُكْرٍ وَصَبْر..

عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:« **عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ** »[٢] .

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ:

«فَأَحْكَمُ الحَاكِمِين، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِين، وَأَعْلَمُ العَالِمِين، الَّذِي هُوَ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ، وَمِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، إِذَا أَنْزَلَ بِهِمْ مَا يَكْرَهُونَ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَنْ لَا يُنْزِلَهُ بِهِمْ، نَظَرًا مِنْهُ لَهُمْ وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ وَلُطْفًا بِهِمْ، وَلَوْ مُكِّنُوا مِنَ الاخْتِيَارِ لِأَنْفُسِهِمْ لَعَجَزُوا عَنْ القِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ عِلْمًا وَإِرَادَةً وَعَمَلًا، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ تَوَلَّى تَدْبِيرَ أُمُورِهِمْ بِمُوجِبِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ أَحَبُّوا أَمْ كَرِهُوا، فَعَرَفَ ذَلِكَ المُوقِنُونَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فَلَمْ يَتَّهِمُوهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ، وَخَفِيَ ذَلِكَ عَلَى

---

[١] «تَيْسِير الكَرِيم الرَّحْمَن » (ص٢٣٨).

[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٦٩٢).

الجُهَّالِ بِهِ وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فَنَازَعُوهُ تَدْبِيرَهُ، وَقَدَحُوا فِي حِكْمَتِهِ، وَلَمْ يَنْقَادُوا لِحُكْمِهِ، وَعَارَضُوا حُكْمَهُ بِعُقُولِهِمْ الفَاسِدَة، وَآرَائِهِمْ البَاطِلَة، وَسِيَاسَاتِهِمْ الجَائِرَة، فَلَا لِرَبِّهِمْ عَرَفُوا وَلَا لِمَصَالِحِهِمْ حَصَّلُوا وَالله المُوَفِّق»، ثُمَّ يُوَاصِلُ رَحِمَهُ اللَّهُ كَلَامَهُ فِي بَيَانِ أَنَّ هَذَا العِلْم مِمَّا يُوجِبُ السَّعَادَةَ الحَقِيقِيَّة فَيَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَمَتَى ظَفَرَ العَبْدُ بِهَذِهِ المَعْرِفَة سَكَنَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ فِي جَنَّةٍ لَا يُشْبِهُ نَعِيمَهَا إِلَّا نَعِيم الآخِرَة، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ رَاضِيًا عَنْ رَبِّهِ، وَالرِّضَا جَنَّةُ الدُّنْيَا وَمُسْتَرَاحُ العَارِفِين، فَإِنَّهُ طَيِّبُ النَّفْسِ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ المَقَادِيرِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ اخْتِيَارِ الله لَهُ، وَطُمَأْنِينَتُهَا إِلَى أَحْكَامِهِ الدِّينِيَّة، وَهَذَا هُوَ الرِّضَا بِالله رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، وَمَا ذَاقَ طَعْمُ الإِيمَان مَنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ ذَلِك، وَهَذَا الرِّضَا هُوَ بِحَسَبِ مَعْرِفَتِهِ بِعَدْلِ الله وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَحُسْنِ اخْتِيَارِهِ، فَكُلَّمَا كَانَ بِذَلِكَ أَعْرَف كَانَ بِهِ أَرْضَى، فَقَضَاءُ الرَّبِّ سُبْحَانه فِي عَبْدِهِ دَائِرٌ بَيْنَ العَدْلِ وَالمَصْلَحَةِ وَالحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ لَا يَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ البَتَّه »[١].

وَهَذِهِ الجَنَّة الَّتِي ذَكَرَهَا فِي هَذَا المَوْضِع ذَكَرَهَا فِي مَوْضِعٍ آخَر، يَحْكِي فِيهَا شَيْئًا مِنْ سِيرَةِ شَيْخِهِ شَيْخ الإِسْلَام ابْن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ فَيَقُول:

«وَسَمِعْتُ شَيْخَ الإِسْلَام ابْنَ تَيْمِيَّة قَدَّس الله رُوحه يَقُول: أَنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّة مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَا يَدْخُل جَنَّةَ الآخِرَة، وَقَالَ لِي مَرَّة: مَا يَصْنَعُ أَعْدَائِي بِي؟ أَنَا جَنَّتِي وَبُسْتَانِي فِي صَدْرِي أَيْنَ رُحْتُ فَهِيَ مَعِي لَا تُفَارِقُنِي، إِنَّ حَبْسِي خلْوَة وَقَتْلِي شَهَادَة وَإِخْرَاجِي مِنْ بَلَدِي سِيَاحَة، وَكَانَ يَقُولُ فِي مَحْبَسِهِ فِي القَلْعَة: لَوْ بَذَلْتُ مِلْءَ هَذِهِ

[١] «الفَوَائِد» (ص٩٩).

القَاعَةِ ذَهَبًا مَا عَدَلَ عِنْدِي شُكْرُ هَذِهِ النِّعْمَةِ أَوْ قَالَ: مَا جَزَيْتُهُمْ عَلَى مَا تَسَبَّبُوا لِي فِيهِ مِنَ الخَيْرِ وَنَحْو هَذَا، وَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ وَهُوَ مَحْبُوسٌ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ مَا شَاءَ الله، وَقَالَ لِي مَرَّةً: المَحْبُوسُ مَنْ حُبِسَ قَلْبُهُ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى، وَالمَأْسُورُ مَنْ أَسَرَهُ هَوَاهُ، وَلَمَّا أُدْخِلَ إِلَى القَلْعَةِ وَصَارَ دَاخِلَ سُورِهَا نَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [سُورَةُ الحَدِيدِ] ، وَعَلِمَ الله مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَطْيَبَ عَيْشًا مِنْهُ قَطّ مَعَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ ضِيقِ العَيْشِ وَخِلَافِ الرَّفَاهِيَّة وَالنَّعِيمِ بَلْ ضِدّهَا وَمَعَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الحَبْسِ وَالتَّهْدِيد وَالإِرْجَاف وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ عَيْشًا وَأَشْرَحِهِمْ صَدْرًا وَأَقْوَاهُمْ قَلْبًا وَأَسَرِّهِمْ نَفْسًا تَلُوحُ نَضْرَةُ النَّعِيمِ عَلَى وَجْهِهِ، وَكُنَّا إِذَا اشْتَدَّ بِنَا الخَوْفُ وَسَاءَتْ مِنَّا الظُّنُون وَضَاقَتْ بِنَا الأَرْضُ أَتَيْنَاهُ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَرَاهُ وَنَسْمَعُ كَلَامَهُ فَيَذْهَبُ ذَلِكَ كُلُّهُ وَيَنْقَلِبُ انْشِرَاحًا وَقُوَّةً وَيَقِينًا وَطُمَأْنِينَةً؛ فَسُبْحَانَ مَنْ أَشْهَدَ عِبَادَهُ جَنَّتَهُ قَبْلَ لِقَائِهِ وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابَهَا فِي دَارِ العَمَلِ فَآتَاهُمْ مِنْ رُوحِهَا وَنَسِيمِهَا وَطِيبِهَا مَا اسْتَفْرَغَ قِوَاهُمْ لِطَلَبِهَا وَالمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا»[١].

[١] «الوَابِل الصَيِّب» (٦٧).

ب/ تَوْحِيدُ الأُلُوهِيَّة (تَوْحِيدُ العِبَادة):

«فَبِاعْتِبَار إِضَافتِهِ إِلَى الله يُسَمَّى: تَوْحِيد الأُلُوهِيَّة، وَبِاعْتِبَار إِضَافتِه إِلَى الخَلْقِ يُسْمَّى تُوحِيد العِبَادَة» [١].

وَالعِبَادَةُ كَمَا عَرَّفَهَا شَيْخ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ: «العِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ الله وَيَرْضَاه مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ البَاطِنَة وَالظَّاهِرَة. فَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالحَجُ وَصِدْقُ الحَدِيثِ وَأَدَاءُ الأَمَانَة وَبرُّ الوَالِدَيْن وَصِلَةُ الأَرْحَام وَالوَفَاءُ بِالعُهُودِ وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ المُنْكَر وَالجِهَادُ لِلْكُفَّارِ وَالمُنَافِقِين وَالإِحْسَانُ لِلْجَارِ وَاليَتِيم وَالمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيل وَالمَمْلُوكِ مِنَ الآدَمِيِّين وَالبَهَائِم وَالدُّعَاءُ وَالذِّكْرُ وَالقِرَاءَةُ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ العِبَادَة.

وَكَذَلِكَ حُبُّ الله وَرَسُولِهِ وَخَشْيَةُ الله وَالإِنَابَةُ إِلَيْهِ وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ وَالصَّبْرُ لِحُكْمِهِ وَالشُّكْرُ لِنِعَمِهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَالرَّجَاءُ لِرَحْمَتِهِ وَالخَوْفُ مِنْ عَذَابِهِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ هِيَ مِنَ العِبَادَة لله»[٢].

فَتَوْحِيدُ العِبَادَة: هُوَ إِفْرَادُ الله تَعَالَى بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ القُرُبَات، فَلا يُعْبَدُ مَعَ الله أَحَد، وَلَا يُعْبَدُ مِنْ دُون الله أَحَد، فَلَا إِلَهَ إِلَّا الله: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا الله، وَكُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ الله فَقَدْ عُبِدَ بِالبَاطِل..

---

[١] «القَوْلُ المُفِيد عَلَى كِتَاب التَّوْحِيد» (١/ ١٤).

[٢] «العُبُودِيَّة» (ص ٤٤).

إِنَّ العِبَادَةَ أَسَاسُ السَّعَادَةِ...وَكَانَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُول:« مَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ الأَبَدِيَّة فَلْيَلْزَمْ عَتَبَةَ العُبُودِيَّة»[١].

فَلَا سَعَادَةَ فِي الدَّارَيْن إِلَّا بِالإِيمَانِ مَعَ العَمَلِ الصَّالِح، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ].

«فَأَخْبَرَ تَعَالَى وَوَعَدَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِح، بِالحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ فِي هَذِهِ الدَّار، وَبِالجَزَاءِ الحَسَنِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي دَارِ القَرَار.

وَسَبَبُ ذَلِكَ وَاضِحٌ، فَإِنَّ المُؤْمِنِينَ بِالله الإِيمَان الصَّحِيح، المُثْمِر لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ المُصْلِحِ لِلْقُلُوبِ وَالأَخْلَاقِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَة، مَعَهُمْ أُصُولٌ وَأُسُسٌ يَتَلَقَّوْنَ فِيهَا جَمِيعَ مَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَسْبَابِ السُّرُورِ وَالابْتِهَاجِ، وَأَسْبَابِ القَلَقِ وَالهَمِّ وَالأَحْزَانِ.

يَتَلَقَّوْنَ المَحَابّ وَالمَسَارّ بِقَبُولٍ لَهَا، وَشُكْرٍ عَلَيْهَا، وَاسْتِعْمَالٍ لَهَا فِيمَا يَنْفَعُ، فَإِذَا اسْتَعْمَلُوهَا عَلَى هَذَا الوَجْهِ أَحْدَثَ لَهُمْ مِنَ الابْتِهَاجِ بِهَا، وَالطَمَعِ فِي بَقَائِهَا وَبَرَكَتِهَا، وَرَجَاءِ ثَوَابِ الشَّاكِرِينَ، أُمُوراً عَظِيمَةً تَفُوقُ بِخَيْرَاتِهَا وَبَرَكَاتِهَا هَذِهِ المَسَرَّات الَّتِي هَذِهِ ثَمَرَاتُهَا.

وَيَتَلَقَّوْنَ المَكَارِهَ وَالمَضَارَّ وَالهَمَّ وَالغَمَّ بِالمُقَاوَمَةِ لِمَا يُمْكِنُهُمْ مُقَاوَمَتُهُ، وَتَخْفِيفِ مَا يُمْكِنُهُمْ تَخْفِيفه، وَالصَّبْر الجَمِيل لِمَا لَيْسَ لَهُمْ مِنْهُ بُدّ، وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ آثَارِ المَكَارِهِ مِنَ المُقَاوَمَاتِ النَّافِعَة، وَالتَّجَارِبِ وَالقُوَّةِ، وَمِنَ الصَّبْرِ وَاحْتِسَابِ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ أُمُورٌ عَظِيمَة تَضْمَحِلُّ مَعَهَا المَكَارِه، وَتَحُلُّ

[١] « مَدَارِجُ السَّالِكِين » (١/ ٤٣١).

مَحَلَّهَا المَسَارّ وَالآمَال الطَّيِّبَة، وَالطَّمَع فِي فَضْل الله وَثَوَابه... فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ المُؤْمِنَ يَتَضَاعَفُ غُنْمُهُ وَخَيْرُهُ وَثَمَرَاتُ أَعْمَالِهِ فِي كُلِّ مَا يَطْرُقُهُ مِنَ السُّرُورِ وَالمَكَارِه.

لِهَذَا تَجِدُ اثْنَيْن تَطْرُقُهُمَا نَائِبَةٌ مِنْ نَوَائِبِ الخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ فَيَتَفَاوَتَانِ تَفَاوُتًا عَظِيمًا فِي تَلَقِّيهَا، **وَذَلِكَ بِحَسَبِ تَفَاوُتِهِمَا فِي الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِح**»[١].

وَهَذَا أَمْرٌ مُشَاهَد، وَالوَاقِعُ أَفْضَلُ شَاهِد؛ بَلْ قَدْ عِشْتُهُ وَعِشْتَهُ بِنَفْسِكَ يَوْمَ مَنَّ الله عَلَيْكَ بِأَوْقَاتِ عِبَادَة..فَتَمَتَّعْتَ وَاسْتَمْتَعْتَ بِلَذَّتِهَا وَحَلَاوَتِهَا فِي خُضُوع وَخُشُوع..

فِي ذُلٍّ وَافْتِقَار لله الوَاحِدِ القَهَّار..

فِي لَحْظَةِ خَوْفٍ وَمَحَبَّة وَرَجَاء ..فَرَفَعْتَ يَدَيْكَ بِالدُّعَاء..وَتَوَجَّهْتَ بِقَلْبِكَ لِرَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاء..

وَاسْأَلْ أَخِي القَارِئ أَهْلَ الاسْتِقَامَةِ عَلَى دِينِ الله عَنْ أَسْعَدِ الأَوْقَات..وَأَفْضَلِ الدَّقَائِقِ وَالسَّاعَات..وَأَجْمَلِ اللَّحَظَات..فَسَتَجِدُ الإِجَابَات لَا تَخْرُجُ عَنْ (زَمَان وَمَكَان القُرُبَات).

وَلِهَذَا كَانَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَمْرُ يَفْزَعُ لِلْعِبَادَةِ لِيَجِدَ الرَّاحَةَ وَالطُّمَأْنِينَة، وَ «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى**»[٢]، وَكَانَ يَقُولُ لِبَلَالٍ رضي الله عنه: «**يَا**

---

[١] «الوَسَائِلُ المُفِيدَة لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَة» (ص٩).

[٢] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (١٣٢١)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٤٧٠٣).

بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا »[١].

وَهَذَا عَبْدُ الله بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نُعِيَ إِلَيْهِ أَخُوهُ قُثَم، وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنْ الطَّرِيقِ، فَأَنَاخَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أَطَالَ فِيهِمَا الجُلُوسَ، ثُمَّ قَامَ يَمْشِي إِلَى رَاحِلَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ][٢].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَوَامِرُ المَحْبُوبِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قُرَّةُ العُيُون وَسُرُورُ القُلُوب، وَنَعِيمُ الأَرْوَاح، وَلَذَّاتُ النُّفُوس، وَبِهَا كَمَالُ النَّعِيمِ؛ فَقُرَّةُ عَيْنِ المُحِبِّ فِي الصَّلَاةِ وَالحَجِّ، وَفَرَحُ قَلْبِهِ وَسُرُورُهُ وَنَعِيمُهُ فِي ذَلِكَ، وَفِي الصِّيَامِ وَالذِّكْرِ وَالتِّلَاوَةِ، وَأَمَّا الصَّدَقَةُ فَعَجَبٌ مِنَ العَجَبِ، وَأَمَّا الجِهَادُ وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ المُنْكَر، وَالدَّعْوَةُ إِلَى الله وَالصَّبْرُ عَلَى أَعْدَاءِ الله سُبْحَانَهُ فَاللَّذَّةُ بِذَلِكَ أَمْرٌ آخَر لَا يَنَالُهُ الوَصْفُ، وَلَا يُدْرِكُهُ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْه، وَكُلُّ مَنْ كَانَ بِهِ أَقْوَم كَانَ نَصِيبُهُ مِن الالْتِذَاذِ بِهِ أَعْظَم »[٣].

إِذَا عَطَشَ قَلْبُكَ فَلَا تَسْقِهْ إِلَّا بِالقُرْآن..

وَإِذَا اسْتَوْحَشَ فَلَا تَشْغُلْهُ إِلَّا بِالرَّحْمَن..

فَكُلُّ أَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ يُرِيدُكَ لِنَفْسِه..وَالله تَعَالَى يُرِيدُكَ لِنَفْسِك.

---

[١] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٤٩٨٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٧٨٩٢).

[٢] رَوَاهُ سَعِيد بْنُ مَنْصُور (١٨٩)، وَابْنُ جَرِير (١/ ٦٢٠)، وَالبَيْهَقِي فِي «شُعَب الإِيمَان» (٩٦٨٢).

[٣] «طَرِيقُ الهِجْرَتَيْن» (ص١٠١).

فَإِنْ اسْتَجَرْتَ بِهِ حَمَاك، وَإِنْ تَوَكَّلْتَ عَلَيْهِ كَفَاكَ، وَإِنْ اسْتَغْنَيْتَ بِهِ أَغْنَاك، وَإِنْ سَأَلْتَهُ أَعْطَاك، وَإِنْ تَعَلَّقْتَ بِهِ وَهَبَك وَمَنَحَك وَوَفَّقَك.

فَالْتَجِئْ إِلَيْه وَقُلْ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِك: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»[١].

[١] رواه النسائي في «سننه الكبرى» (١٠٣٣٠)، والحاكم في «مستدركه» (٢٠٠٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٦٦١).

ج/ تَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات:

«وَهُوَ إِفْرَادُ الله ﷻ بِمَا لَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِفَات.

وَهَذَا يَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

الأَوَّلُ: الإِثْبَات، وَذَلِكَ بِأَنْ نُثْبِتَ لله عز وجل جَمِيعَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةَ نَبِيِّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الثَّانِي: نَفْيُ المُمَاثَلَةِ، وَذَلِكَ بِأَنْ لَا نَجْعَلَ لله مَثِيلًا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سُورَةُ الشُّورَىٰ]»[١].

وَهَذَا النَّوْعُ مِنْ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ لَهُ الأَثَرُ العَظِيمُ فِي رَاحَةِ العَبْدِ وَسَعَادَتِهِ، فَمَنْ عَرَفَ الله بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِه، عَظَّمَهُ حَقَّ التَّعْظِيم، وَنَزَّهَهُ عَنْ النَّقَائِصِ وَالعُيُوب...

«فَمَنْ آمَنَ بِأَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ الله تَعَالَى العَفُوّ، وَالغَفُور، وَالرَّحِيم، وَأَنَّ مِنْ صِفَاتِهِ المَغْفِرَةَ لِلْمُذْنِبِينَ، وَالرَّحْمَةَ وَالعَفْوَ، دَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى عَدَمِ اليَأْسِ مِنْ رَوْحِ الله، وَإِلَى عَدَمِ القُنُوطِ مِنْ رَحْمَتِهِ، بَلْ يَنْشَرِحُ صَدْرُهُ لِمَا يَرْجُو مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ وَمَغْفِرَتِهِ..

إِذَا أَيْقَنَ المُؤْمِنُ أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ الله تَعَالَى القَوِيّ، وَالقَادِر، وَالعَزِيز، وَأَنَّه تَعَالَى يَتَوَلَّى المُؤْمِنِين بِالحِفْظِ وَالنَّصْرِ، أَكْسَبَهُ ذَلِكَ عَظَمَةَ التَّوَكُّلِ عَلَى الله، وَالوُثُوقِ بِنَصْرِه، وَعَدَمِ الهَلَعِ مِنْ أَعْدَائِهِ، فَيَعِيشُ قَرِيرَ العَيْنِ، وَاثِقًا بِحِفْظِ الله وَتَأْيِيدِهِ

[١] «القَوْلُ المُفِيد عَلَى كِتَاب التَّوْحِيد» (١/ ١٦).

وَنَصْرِهِ»[١].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: « فَإِنَّ حَيَاةَ الإِنْسَانِ بِحَيَاةِ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ وَ لَا حَيَاةَ لِقَلْبِهِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ فَاطِرِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ أَوْ الإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَالطُّمَأْنِينَةِ بِذِكْرِهِ وَالأُنْسِ بِقُرْبِهِ وَمَنْ فَقَدَ هَذِهِ الحَيَاة فَقَدَ الخَيْرَ كُلَّهُ وَلَوْ تَعَوَّضَ عَنْهَا بِمَا تَعَوَّضَ بِهِ الدُّنْيَا بَلْ لَيْسَتْ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا عِوَضًا عَنْ هَذِهِ الحَيَاةِ فَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَفُوتُ العَبْدَ عِوَضٌ وَإِذَا فَاتَهُ الله لَمْ يُعَوِّضْ عَنْهُ شَيْءٌ البَتَّة »[٢].

وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ: « فَالسَّيْرُ إِلَى الله مِنْ طَرِيقِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ شَأْنُهُ عَجَبٌ وَفَتْحُهُ عَجَبٌ، صَاحِبُهُ قَدْ سِيقَتْ لَهُ السَّعَادَةُ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِهِ غَيْر تَعِبٍ وَلَا مَكْدُودٍ وَلَا مُشَتَّتٍ عَنْ وَطَنِهِ وَلَا مُشَرَّدٍ عَنْ سَكَنِهِ »[٣].

فَيَا إِخْوَانِي فِي الله:

الله الله فِي التَّوْحِيد فَهُوَ الحَلُّ الوَحِيد لِلْظَّفَرِ بِالسَّعَادَة، وَالرُّقِيِّ فِي دَرَجَاتِ السِّيَادَة، وَالأَخْذِ بِزِمَامِ القِيَادَة وَالرِّيَادَة؛ رَزَقَنَا الله وَإِيَّاكُمْ الحُسْنَى وَزِيَادَة.

وَكَمَا أَنَّ التَّوْحِيدَ بِأَنْوَاعِهِ الثَّلَاثَة مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ انْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَرَاحَتِهِ، وَسُرُورِ القَلْبِ وَطُمَأْنِينَتِهِ، فَهُوَ كَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ دَفْعِ الكَرْبِ وَالهُمُوم، وَرَحِيلِ الأَحْزَانِ وَالغُمُوم.

وَالمُتَأَمِّلُ فِي الأَذْكَارِ النَّبَوِيَّةِ المُذْهِبَةِ لِهَذِهِ الأُمُور تَجِدُهَا ذَاكِرَةً وَمُثَبِّتَةً لِأَصْلِ

[١] «تَهْذِيب تَسْهِيل العَقِيدَة الإِسْلَامِيَّة» (ص ٧٨).

[٢] «الجَوَاب الكَافِي» (ص٥٦).

[٣] «طَرِيق الهِجْرَتَيْن» (ص٣٣٤).

الأُصُول، وَسُلَّمِ الوُصُول: **التَّوْحِيد**.

«فَالتَّوْحِيدُ مَلْجَأُ الطَّالِبِين، وَمَفْزَعُ الهَارِبِين، وَنَجَاةُ المَكْرُوبِين، وَغِيَاثُ المَلْهُوفِين، وَحَقِيقَتُهُ إِفْرَادُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِالمَحَبَّةِ وَالإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ وَالذُّلِّ وَالخُضُوع»[١].

«فَنَحْنُ عَبِيدُ الله ﷻ، وَالعَبْدُ لَايَجُوزُ لَهُ أَنْ يَعْمَلَ وَيُؤَدِيَ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَالسَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَنُوطَةٌ بِقِيَامِ العَبْدِ بِوَظِيفَةِ العُبُودِيَّةِ لله ﷻ، وَالضَّنَكُ وَالشَّقَاءُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَنُوطٌ بِالإِخْلَالِ بِهَذِهِ الوَظِيفَةِ، وَالتَّعَبُّدِ لِغَيْرِ الله ﷻ...

وَلَمَّا خُلِقَتْ القُلُوب لِعِبَادَةِ عَلَّام الغُيُوب وَغَفَّارِ الذُّنُوب ﷻ، كَانَ عِلَاجُ القَلْبِ إِذَا أُصِيبَ بِشَيْءٍ مِنَ الهَمِّ أَوْ الغَمِّ أَوْ الحُزْنِ.. فِي التَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِ العِبَادَةِ لِلرَّبِ الحَمِيدِ المَجِيد»[٢].

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ: **« لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»**[٣].

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ :**« أَلاَ أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ أَوْ فِي الْكَرْبِ اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لاَ أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»**[٤].

---

[١] «إِغَاثَةُ اللَّهْفَان» (٢/ ١٣٥).

[٢] «خَوَاطِر إِيمَانِيَّة» (ص٨٢).

[٣] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٣٤٦)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٣٠).

[٤] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (١٥٢٥)، وَابْنُ مَاجَه (٣٨٨٢)، وَصَحَّحَه الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٢٦٣٣).

وَعَنْ أَبِي بَكْرَة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[١].

وَغَيْرِهَا مِنَ الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ...

كَمَا لَا يَفُوتُنِي إِخْوَانِي أَنْ أُذَكِّرَكُمْ أَمْرًا مُهِمًّا، وَهُوَ: «التَّحَدُّثُ بِنِعَمِ الله الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَة، فَإِنَّ مَعْرِفَتَهَا وَالتَّحَدُّثَ بِهَا يَدْفَعُ الله بِه الهَمَّ وَالغَمَّ، وَيَحُثُّ العَبْدَ عَلَى الشُّكْرِ الَّذِي هُوَ أَرْفَعُ المَرَاتِبِ وَأَعْلَاهَا حَتَّى وَلَوْ كَانَ العَبْدُ فِي حَالَةِ فُقرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ البَلَايَا؛ فَإِنَّهُ إِذَا قَابَلَ بَيْنَ نِعَمِ الله عَلَيْهِ الَّتِي لَا يُحْصَى لَهَا عَدٌّ وَلَا حِسَابٌ وَبَيْنَ مَا أَصَابَهُ مِنْ مَكْرُوهٍ، لَمْ يَكُنْ لِلْمَكْرُوهِ إِلَى النِّعَمِ نِسْبَةٍ »[٢].

فَإِذَا كَانَ تَذَكُّرُ نِعَمِ الله مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ فَقُولُوا لِي بِرَبِّكُمْ، كَيْفَ هُوَ حَالُ المُوَحِّدِ إِذَا تَذَكَّرَ أَعْظَمَ نِعْمَةٍ؟!

قال الله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ رَجَب الحَنْبَلِيّ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَفِي هَذِهِ الآيَة أَوَّل مَا عَدَّد الله عَلَى عِبَادِه مِنَ النِّعَم (أي نعمة التوحيد) فِي سُورَةِ النِّعَم الَّتِي تُسَمَّى [سُورَةُ النَّحْلِ] وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عُيَيْنَة: مَا أَنْعَمَ الله عَلَى عَبْدٍ مِنَ العِبَاد نِعْمَة أَعْظَم مِنْ أَنْ عَرَّفَهُمْ لَا إِلَه إِلَّا الله »[٣].

---

[١] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٥٠٩٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٣٣٨٨).

[٢] «الوَسَائِلُ المُفِيدَة لِلْحَيَاة السَّعِيدَة» (ص ١٨).

[٣] «كَلِمَةُ الإِخْلَاص وَتَحْقِيقُ مَعْنَاهَا» (ص٥٣).

فَإِذَا اسْتَحْضَرَ المُوَحِّدُ هَذِهِ النِّعْمَة العَظِيمَة هَانَتْ عَلَيْهِ المَصَائِب، وَزَالَتْ عَنْهُ المَتَاعَب..بَلْ يَسْتَشْعِر اصْطِفَاء رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاء..

يُقَلِّبُ نَظَرَهُ هُنَا وَهُنَاك لِيَرَى كَيْفَ فَضَّلَهُ الله بِنِعْمَةِ الإِيمَان فِي وَقْتٍ كَسَبَ فِيه النَّاسُ المَلَايِير وَلَمْ يُوَفَّقُوا لِعِبَادَةِ العَلِيِّ القَدِير: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٤﴾ [سُورَةُ الحِجْرِ].

وَمَنْ تَأَمَّلَ سِيرَةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ سَيَرَى الصُّورَةَ الحَقِيقِيَّة لِلْحَيَاةِ الإِيمَانِيَّة، بَلْ يَقِفُ وَقْفَةَ المُتَعَجِّبِ المُسْتَغْرِبِ مِنْ بَعْضِ صُوَرِ تَوَاضُعِهِ ﷺ: فِي بَيْتِهِ، فِي مَأْكَلِهِ، فِي مَشْرَبِهِ، بَلْ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا بِأَطْرَافِهَا وَأَجْزَائِهَا...

وَكَمَا قِيل: «السَّعَادَةُ فِي تَقْلِيلِ الرَّغَبَات، لَا فِي زِيَادَةِ الثَّرَوَات».

مَوْقِفٌ مُؤَثِّرٌ:

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ قَالَتْ جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَأَعْطَيْتُهَا ، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا ، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ **«مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»**[١].

قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِح العُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ:«مِمَّا وَرَدَ فِي هَذَا الحَدِيثِ مِنَ العِبَرِ:

أَوَّلًا: بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِ رَسُولِ الله ﷺ وَمِنْ أَشْرَفِ بُيُوتِه، فِيهِ أَحَبُّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ لَا يُوجَدُ بِهِ إِلَّا تَمْرَة وَاحِدَة، وَنَحْنُ الآن فِي بَلَدِنَا هَذَا يُقَدَّمُ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَ الأَكْلِ خَمْسَةَ

[١] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٩٥)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٢٩).

أَصْنَافٍ شَتَّى، فَلِمَاذَا فُتِحَتْ عَلَيْنَا الدُّنْيَا وَأُغْلِقَتْ عَلَيْهِمْ؟ أَلِكَوْنِنَا أَحَبّ إِلَى الله مِنْهُم؟ لَا وَالله هُمْ أَحَبُّ إِلَى الله مِنَّا وَلَكِنْ فَضْلُ الله يُؤْتِيه مَنْ يَشَاء، وَنَحْنُ ابْتُلِينَا بِهَذِهِ النِّعَم فَصَارَتْ هَذِهِ النِّعَمُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ اليَوْم سَبَبًا لِلْشَّرِّ وَالفَسَادِ وَالأَشَر وَالبَطَر، حَتَّى فَسَقُوا وَالعِيَاذُ بالله، وَيُخْشَى عَلَيْنَا مِنْ عُقُوبَةِ الله ﷻ بِسَبَب أَنَّ كَثِيرًا مِنَّا بَطَرُوا هَذِهِ النِّعَم وَكَفَرُوهَا وَجَعَلُوهَا عَوْنًا عَلَى مَعَاصِي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نَسْأَلُ الله السَّلَامَة»[١].

لَقَدْ كَانَ يَمُرُّ عَلَى بَيْتِ النُّبُوَّةِ أَيَّامًا مَا يُوقَدُ فِيهِ نَار، عَنْ عُرْوَة عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَة: « **وَاللهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ.**

قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟

قَالَتِ: الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ »[٢].

بَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصِيبُهُ الجُوعُ حَتَّى يَلْتَوِي فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلاً يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ**»[٣].

وَمَعَ هَذَا فَقَدْ كَانَ ﷺ أَسْعَدَ النَّاس، وَمِنْ هُنَا يَتَّضِحُ «خَطَأَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي تَطَلُّبِهِمْ الاسْتِكْثَار مِنَ الأَطْعِمَةِ وَاللِّبَاسِ وَالمَرَاكِبِ وَنَحْوِهَا، مِمَّا يَفِيضُ عَنْ

---

[١] «شَرْحُ رِيَاض الصَّالِحِين» (٢/ ٧٧).

[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٥٦٧)، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٧٢).

[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٤٦١).

حَاجَاتِهِمْ وَيُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى الإِسْرَاف، بَلْ التَّبْذِير فِي كَثِيرٍ مِنَ الحَالَات.

وَالَّذِي يَنْبَغِي عَلَى مِثْلِ هَؤُلَاءِ أَنْ يَصْرِفُوا مَالَ الله الَّذِي آتَاهُمْ تَصْرِيفًا وَإِنْفَاقًا سَلِيمًا رَاشِدًا، وَأَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ مِنْ إِخْوَانِهِمْ المُسْلِمِين فِي كَثِيرٍ مِنْ بِقَاعِ الدُّنْيَا مَنْ لَا يَجِدُ مَا يُقِيمُ أَوَدَهُ وَيَدْفَعُ شَبَحَ المَجَاعَة، عَلَاوَة عَلَى مَا بِهِمْ مِنْ نَوَازِلَ مُخْتَلِفَةٍ وَمُحْزِنَة»[١].

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُتَوَاضِعًا فِي مَأْكَلِهِ، مُتَوَاضِعًا فِي مَشْرَبِهِ، مُتَوَاضِعًا فِي مَسْكَنِهِ وَمَرْقَدِهِ، عَنْ عُمَر بْنِ الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «.. **فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئًا عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ .. فَرَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلَاثَةٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسًا وَالرُّومَ قَدْ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ، وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللهَ. فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: « أَوَفِي هَذَا أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلُوا طَيِّبَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ».**

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَغْفِرْ لِي »[٢]

«فَالحَيَاةُ الطَيِّبَةُ حَقًّا هِيَ الحَيَاةُ الإِيمَانِيَّةُ الَّتِي تَعْمُرُ القَلْبَ وَتَمْلَؤُهُ بِالرِّضَا وَمَحَبَّةِ الله، وَالقُرْبِ مِنْهُ وَالأُنْسِ بِهِ، ثُمَّ تَدْفَعُ الجَوَارِحَ بَعْدَهَا نَحْوَ الطَّاعَةِ وَالعِبَادَةِ، وَتَجْعَلُ صَاحِبَهَا يَنْصَرِفُ إِلَى عِمَارَةِ آخِرَتِهِ وَعَدَمِ الانْشِغَالِ بِالدُّنْيَا الزَّائِلَةَ، وَتَصِيرُ كُلّ مَا فَاتَهُ مِنْهَا قُرْبَة إِلَيْهِ عَزَّ وَجل، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلِيَّ**

---

[١] « لَمَحَات مِنَ الحَيَاة البَيْتِيَّة لِلنَّبِيِّ ﷺ (ص١١).

[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٤٨٦)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٤٧٩).

قَالَ: « هَلْ عِنْدَكُمْ طَعَامٌ؟» فَإِذَا قُلْنَا: لَا، قَالَ:« إِنِّي صَائِمٌ »[١].

فَحَقَّقَ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام طَيِّبَ العَيْشِ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا العَصِيبَةِ، وَازْدَادَتْ عُبُودِيَّتُهُ لِرَبِّه، وَلَمْ يَضْعُفْ سَيْرُهُ إِلَى الآخِرَةِ، لِأَنَّ المَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَمَعَ شَمْلَهُ وَفِكْرَهُ لَمَّا جَعَلَ الآخِرَةَ هَمَّهُ وَمُرَادَهُ وَغَايَتَهُ وَمَقْصَدَهُ...

فَتَحَقَّقَتْ لَهُ الحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي وَعَدَ الله ﷻ بِهَا عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ العَامِلِينَ، وَاسْتَوَتْ عِنْدَهُ أَحْوَالُ الدُّنْيَا كُلِّهَا، عُسْرُهَا وَيُسْرُهَا، حُلْوُهَا وَمُرُّهَا؛ وَهَذَا مَا يَجِبُ عَلَى العَبْدِ المُسْلِمِ أَنْ يَسْعَى لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لله فِي أَحْوَالِهِ كُلِّهَا، رَاضِيًا بِمَا يُجْرِيهِ عَلَيْهِ رَبُّهُ وَمَلِيكُهُ مِنْ مَقَادِير، مُحْسِنًا الظَنَّ بِهِ وَبِاخْتِيَارِهِ لَهُ، وَاثِقًا فِي عَدْلِهِ وَحُكْمِهِ، حَامِدًا لَهُ إِحْسَانَهُ وَرَحْمَتَهُ بِهِ، عَابِدًا لَهُ فِي كُلِّ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِ العُبُودِيَّةِ؛ وَهِيَ الرِّضَا التَّام عَنْ الله ﷻ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ»[٢].

أَخِي فِي الله:

اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ السَّعَادَةَ المُنْشُودَةَ لَيْسَتْ فِي الدُّنْيَا الفَانِيَةِ فَقَط؛ بَلْ هِيَ شَامِلَةٌ لِكُلِّ الأَطْوَارِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا الإِنْسَان (الدُّنْيا، البَرْزَخ، الآخِرَة):

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ:

«وَلَا تَحْسَبْ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾

---

[١] رَوَاهُ أَبُو دَاود (٢٤٥٥)، وَالتِّرْمِذِي (٧٣٣)، وَالنَّسَائِي (٢٣٢٨)، وَابْنُ مَاجَه (١٧٠١)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٤٧١٩).

[٢] « الطَرِيق إِلَى السَّعَادَة» (ص٤١).

[سُورَةُ الِانفِطَارِ] مَقْصُورٌ عَلَى نَعِيمِ الآخِرَةِ وَجَحِيمِهَا فَقَطْ؛ بَلْ فِي دُورِهِمْ الثَّلَاثَةِ كَذَلِكَ، أَعْنِي دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ البَرْزَخِ وَدَارَ القَرَارِ، فَهَؤُلَاءِ فِي نَعِيم، وَهَؤُلَاءِ فِي جَحِيم، وَهَلْ النَّعِيمُ إِلَّا نَعِيمُ القَلْبِ وَهَلْ العَذَابُ إِلَّا عَذَابُ القَلْبِ»[١].

فَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الشَّهَوَات، وَغَرِقَ فِي لُجَجِ المَعَاصِي وَالسَّيِّئَات فَمَعِيشَةُ الضَّنْكِ وَالضِّيقِ وَالقَلَقِ..حَيَاةُ الهُمُوم وَالغُمُوم...حَيَاةُ الأَحْزَان وَالأَشْجَان..

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ كَثِير رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِير قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [سُورَةُ طٰهٰ: ١٢٤].

«﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أَيْ: خَالَفَ أَمْرِي، وَمَا أَنْزَلْتُهُ عَلَى رَسُولِي، أَعْرَضَ عَنْهُ وَتَنَاسَاه، وَأَخَذَ مِنْ غَيْرِهِ هُدَاه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا، فَلَا طُمَأْنِينَة لَهُ، وَلَا انْشِرَاح لِصَدْرِه، بَلْ صَدْرُهُ ضَيِّقٌ حَرَج لِضَلَالِه، وَإِنْ تَنَعَّمَ ظَاهِرُهُ، وَلَبِسَ مَا شَاء وَأَكَلَ مَا شَاء، وَسَكَنَ حَيْثُ شَاء، فَإِنَّ قَلْبَهُ مَا لَمْ يَخْلُصْ إِلَى اليَقِينِ وَالهُدَى، فَهُوَ فِي قَلَقٍ وَحِيرَةٍ وَشَكٍّ، فَلَا يَزَالُ فِي رِيبَةٍ يَتَرَدَّدُ، فَهَذَا مِنْ ضَنْكِ المَعِيشَةِ»[٢].

فَيَا أَخِي الحَبِيب لَا تَتَرَدَّدْ وَالْتَحِقْ بِرَكْبِ السُّعَدَاء..المُوَحِّدِينَ لِرَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاء..المُتَّبِعِينَ لِخَاتَمِ الأَنْبِيَاء ﷺ..

فَيَا أَخِي الحَبِيب الْتَحِقْ بِقَوَافِلِ المُوَحِّدِينَ.. المُسَارِعِينَ لِتَحْقِيقِ مَرْضَاةِ رَبِّ العَالَمِينَ ﷻ...

---

[١] «الجَوَاب الكَافِي» (ص٥١).

[٢] «تَفْسِير القُرْآن العَظِيم» (٥/ ٣٢٢).

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الغِنَى: الاسْتِغْنَاءُ بِالله عَنْ خَلْقِ الله..

وَمِنْ أَعْظَمِ الفَقْرِ: الافْتِقَارُ لِخَلْقِ الله، وَالغَفْلَةِ عَنْ مَا عِنْدَ الله ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾..يَا مَعْشَرَ العَبِيد ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾.

وَالله مَا لَكَ غَيْرَ الله مِنْ أَحَدٍ فَحَسْبُكَ الله فِي كُلٍّ لَكَ الله

فَالعَجَبُ كُلّ العَجَب؛ بَلْ « مِنْ أَعْجَبِ الأَشْيَاء:

أَنْ تَعْرِفَهُ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) ثُمَّ لَاتُحِبّهُ، وَأَنْ تَسْمَعَ دَاعِيه ثُمَّ تَتَأَخَّر عَنْ الإِجَابَة.

وَأَنْ تَعْرِفَ قَدْرَ الرِّبْحِ فِي مُعَامَلَتِهِ، ثُمَّ تَعْمَل لِغَيْرِه.

وَأَنْ تَعْرِفَ قَدْرَ غَضَبِهِ ثُمَّ تَتَعَرَّض لَه.

وَأَنْ تَذُوقَ أَلَمَ الوَحْشَةِ فِي مَعْصِيَتِه، ثُمَّ لَا تَطْلُب الأُنْسَ بِطَاعَتِه.

وَأَنْ تَذُوقَ عَصْرَةَ القَلْبِ عِنْدَ الخَوْضِ فِي غَيْرِ حَدِيثِه وَالحَدِيثِ عَنْه ثُمَّ لَا تَشْتَاقُ إِلَى انْشِرَاحِ الصَّدْرِ بِذِكْرِهِ وَمُنَاجَاتِه.

وَأَنْ تَذُوقَ العَذَابَ عِنْدَ تَعَلُّقِ القَلْبِ بِغَيْرِهِ وَلَا تَهْرُب مِنْهُ إِلَى نَعِيمِ الإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَ الإِنَابَهِ إِلَيْه.

وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا عِلْمُكَ أَنَّكَ لَابُدَّ لَكَ مِنْهُ، وَأَنَّكَ أَحْوَجُ شَيْءٍ إِلَيْهِ، وَأَنْتَ عَنْهُ مُعْرِضٌ وَفِيمَا يُبْعِدُكَ عَنْهُ رَاغِب»[١].

---

[١] «الفَوَائِد» (ص ٥٠).

وَفِي الخِتَام:

أَسْأَلُ الله العَظِيم رَبَّ العَرْشِ العَظِيم أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ المُوَحِّدِين، فَاللَّهُمَّ احْفَظْنَا بِالإِسْلَامِ قَائِمِين، وَاحْفَظْنَا بِالإِسْلَامِ قَاعِدِين، وَاحْفَظْنَا بِالإِسْلَامِ رَاقِدِين، وَلَا تُشْمِتْ بِنَا الأَعْدَاءَ وَلَا الحَاسِدِين.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَيْشَ السُّعَدَاء، وَنُزُلَ الشُّهَدَاء، وَالنَّصْرَ عَلَى الأَعْدَاء..

وَصَلَّى الله وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

❐❐❐❐❐❐❐

فهرس المحتويات

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَة ٥

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الأُوْلَى ٦

حَقِيقَةُ السَّعَادَة، وأعْظَمُ أسْبَابِهَا ١٠

أ/ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ ٢١

ب/ تَوْحِيدُ الأُلُوهِيَّة (تَوْحِيدُ العِبَادة) ٣١

ج/ تَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات ٣٦

الخاتمة ٤٦

تم الصف والإخراج الفني

بمكتب لوصيف للتصميم والإشهار

الزقم - ح.ع.ك - وادي سوف - الجزائر

00213 (0) 559 33 27 13

hajizgoum@yahoo.com

لوصيف

لوصيف للتصميم و الإشهار

LOUCYEF \ Design & Pub

عازمون على الإبداع

صَدَرَ للمؤلف

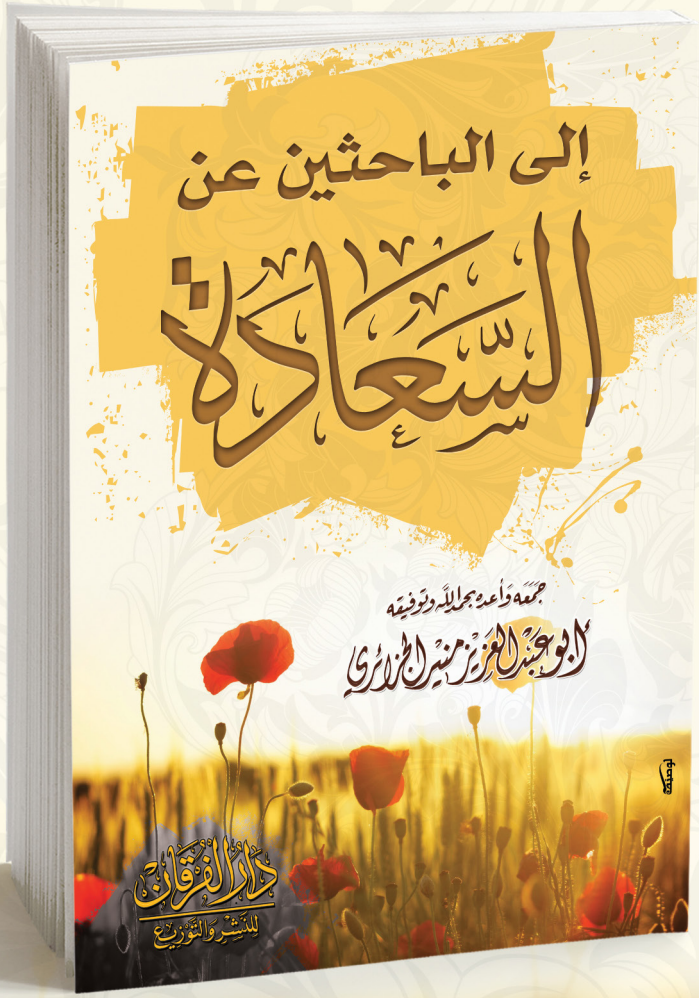

ISBN 978-9931-616-52-8
9 789931 616528